أثر اللغة العربية فى ثقافة المسلمين فى شبه القارة الهندية

الدكتور ثناءالله رانا الأزهرى *

Abstract:

The relationship between any language and its users is very deep and friendly. It does not disconnect due to migration of its users from one station to another but it appears in the form of impressions and influences in the new environment that its users migrate to. Besides this it is observed that mostly this relationship between both sides originates and develops very quickly. We realize the same when we study the historical background of Arabic language in the Sub-continent Indo Pak. Because in the Sub-continent, the Arabic Language developed, approved and highlighted its powerful presence .It was due to ancient trade and social relationship between Arabs and Indians.The history of influences of Arabic Language on the Islamic culture in Sub-continent Indo-Pak , starts from the arrival of Islam in this area , and with the passage of time increased those impacts on the Islamic culture in this region , until the Arabic Language was used in general life in sindh (that is one of the four provinces of Pakistan) in third Hijrah .Arabic Language faced the great difficulties in its spreading in this region , due to powerful presence of Persian Language , because it was the basic language of Persian conquers.when the Islamic studies that was in Arabic Language publicized in this region, it left very clear impacts on the Islamic culture, and the Muslims. Along with this, we look the deep influences of Arabic literature on Islamic culture here, and the other thing that indicates this fact, is a huge amount of literary products in Arabic Language, that deals with the different aspects of Islamic studies. In spite of great efforts by the Governments of Pakistan and India and their private sectors to promote the Arabic Language in Universities and Deeni Madrasas, we can not refuse this fact, that there are many difficulties and problems in the way of spreading the Arabic Language and its Literature in Sub-continent Indo-Pak. And it's our social and religious responsibility to solve these problems because it's the Language of Holy Quran and Hadeeth.

* الأستاذ المساعد بكلية اللغة العربية والحضارة الإسلامية , الجامعة الإسلامية العالمية إسلام آباد .

الحمد لله والصلاة والسلام على حبيبه المصطفى صلى الله عليه وسلم وعلى من تبعه إلى يوم الدين .

و بعد :

فإن العلاقة بين أية لغة من لغات العالم وأهلها علاقة حميمة وعميقة لا تنفصل بالهجرة من مكان إلى مكان آخر إلا أنها تظهر في صورة التأثر والتأثير في البيئة الجديدة التي يهجر إليها أبناؤها وينشأ هذا التأثر والتأثير ويتطور تطورا ملحوظا في معظم الأحيان. هكذا نرى عندما نلقي نظرة على الخلفية التاريخية عن ورود اللغة العربية في شبه القارة الهندية حيث إنها دخلت في هذه المنطقة وتطورت وأثبتت وجودها بقوة وذلك بسبب العلاقات التجارية والاجتماعية بين العرب وأهل الهند قبل الإسلام.

إن هذا المقال يحتوي على تسعة مباحث يتحدث المبحث الأول عن تاريخ العلاقات بين العرب وشبه القارة الهندية والمبحث الثاني يبين عوامل ومراحل انتشار اللغة العربية فيها والمبحث الثالث يشير إلىانتشار العلوم الإسلامية والعقلية في شبه القارة والمبحث الرابع يدور حول سمات الشعر وفنونه فيها والمبحث الخامس يذكر سمات النثر العربي وفنونه في شبه القارة والمبحث السادس يتكلم عن الإنتاج الفني والأدبي فيها والمبحث السابع يشتمل على بيان دور المؤسسات الرسمية في نشر اللغة العربية في شبه القارة والمبحث الثامن يوضح دور المؤسسات غير الرسمية في نشر اللغة العربية فيها والمبحث التاسع يبرز المشكلات في نشر اللغة العربية في شبه القارة الهندية

المبحث الأول: تاريخ العلاقات بين العرب وشبه القارة الهندية:

أولاً: العلاقات التجارية قبل الإسلام : إن كتب التاريخ تذكر لنا أن الصلات التجارية بين أهالي شبه القارة الهندية والعرب كانت قائمة قبل الإسلام ويذكر هذه الحقيقة دكتور عبد المنعم النمر قائلا:

"إن الصلات التي كانت قائمة بين الهند والبلاد الغربية قبل الميلاد كان التجار العرب واسطة هذه الصلات بل كانوا هم أكثر أهل البلاد الغربية صلة بالهند فبلادهم قريبة من الهند تقع على بحر العرب كما تقع الهند وسفنهم هي التي كانت تقوم بنصيب كبير في نقل التجارة بين الهند وبين هذه البلاد ومن الطبيعي أن يكون التجار والبحارة العرب بحكم عملهم أكثر صلة بأهل الهند ". [1]

ويؤكد على ذلك د/ جميل أحمد قائلا:

"فإن أقدم العوامل الرئيسية التي تمهد بها السبيل للصلة اللغوية بين شبه القارة الهندية والباكستانية والعرب

---

[1] - د/ عبد المنعم النمر تاريخ الإسلام في الهند الهيئة المصرية العامة للكتاب القاهرة مصر الطبعة الأولى 1990 صـ60

الملاحة العربية في المياه الهندية قبل الإسلام بمئات عديدة من السنوات ونتج عنها التفاهم على تبـــادل البضـــائع والسلع " [2]

العلاقات الاجتماعية بين العرب والهند: وإلى جانب العلاقات التجارية كانت العلاقات الاجتماعية أيضا بـــين العرب وأهل الهند ويؤيد ذلك ما ذكره د/ سيد رضوان علي الندوي قائلا:

" إن سواحل الهند الغربية والموانئ الواقعة عليها كانت معروفة لدى الجزيرة العربية منذ أقدم العصور بســـبب الصلات التجارية بين موانئ هذه السواحل وبين السواحل العربية في الخليج وسواحل اليمن وذلك قبل أن يرى العالم نور الإسلام كما أن هذا من المعروف أن عددا كبيرا من العرب والإيرانيين قد استقروا من القرن الســـابع الميلادي في موانئ الساحل الغربي للهند وتزوجوا بنساء محليات وإن في مالابار (كيرالا حاليـــا) الـــتي عرفـــت بتشجيعها للتجار كانت مثل هذه المستوطنات كبيرة ومهمة. [3]

إن هذه الأدلة القاطعة إن دلت على شيء فإنها تدل على أن العلاقات التجارية والاجتماعية بين العرب وأهـــالي شبه القارة الهندية قبل الإسلام كانت سببا لزرع بذور اللغة العربية في شبه القارة الهندية الباكستانية.

مراحل انتشار الإسلام في شبه القارة الهندية:

المرحلة الأولى: إن المرحلة الأولى لانتشار الإسلام في شبه القارة الهندية تبدأ بظهـــور الإســـلام في جزيرة العرب إلاّ أن أشعة نور الإسلام كانت ضئيلة حينذاك في هذه المنطقة الهندية وهذا ما يـــذكره د/ عبـــد المنعم النمر قائلا:

"وحين ظهر الإسلام ودخل العرب في دين الله أفواجا كان منهم هؤلاء التجار والبحارة العرب من الحضارمة وغيرهم، فحملوا معهم دينهم الجديد إلى البلاد التي يتعاملون معها، وكان من الطبيعي أن يتحـــدث هؤلاء في حماس وإيمان عن دينهم الجديد، وعن الرسول الذي ظهر في بلادهم، يدعو الناس إلى التوحيد والأخاء والمساواة والمعاملة الحسنة بين الناس جميعا، وكانت الهند تئن حينئذ من التفرقة ونظام الطبقات القاسي الـــذي تقوم عليه ديانته، ولذا وجد الإسلام في الهند أرضا خصبة سهلة، وأصبح في كل ميناء أو مدينـــة اتصـــل بهـــا المسلمون جماعة اعتنقوا الإسلام، وأقاموا المساجد، وباشروا شعائرهم في حرية تامة لما كان للمسلمين والعرب

---

[2]- د/ جميل أحمد حركة التأليف باللغة العربية في الإقليم الشمالي الهندي في القرنين الثامن عشر والتاسع عشرجامعة الدراسات الإسلامية كراتشي- باكستان دون ذكر سنة الطبع صـــ 5

[3]- د/ سيد رضوان علي الندوي اللغة العربية وآدابها في شبه القارة الهندية الباكستانية عبر القرون منشورات جامعة كراتشي باكستان الطبعة الأولى 1995م صـــ 27-28، وأنظر أيضا د. أحمد معوض, باكستان المعاصرة الدار العربية لنشر الثقافة العالمية القاهرة 1976م صـــ7

في ذلك الوقت من منزلة عند الحكام باعتبارهم أكبر عوامل في رواج التجارة الهندية التي كانت تدر على هؤلاء الحكام الدخل الوفير [4]

يتضح من هذا النص, أن الأضواء للعقيدة الإسلامية بدأت تظهر في ناحية من نواحي شبه القارة الهندية عند ظهور الإسلام في المجتمع العربي كما أنها جهود فردية سلمية هادئة غير منظمة لنشر دعوة الإسلام في الهند.

المرحلة الثانية: إن المرحلة الثانية تختلف عن المرحلة الأولى حيث إنها تشتمل على جهود سياسية والهدف منها نشر العقيدة الإسلامية وإعلاء كلمة الله عزّ وجل بأسلوب منظم سياسي يقول د/ عبد المنعم النمر:

" قد ظل القواد المسلمون يطرقون أبواب الهند ويصيبون من أطرافها حتى كان زمن الحجاج بن يوسف عامل الوليد بن عبد الملك على العراق وبدأت الحملة القوية المنظمة تتجه إلى الهند لفتحها وضمها إلى رقعة البلاد الإسلامية وقد وجه الحجاج أولا بعد قواده إلى هذه البلاد ولكنه فشل في مهمته فرأى أن يوجه حملة أخرى جعل على رأسها ابن أخيه الشاب الشجاع محمد بن قاسم الثقفي وذلك سنة 711م -92هـ وكان عمره إذ ذاك لم يصل إلى العشرين ثم دار قتال انتهى باستيلاء المسلمين مدينة (ديبل) أي منطقة السند (أحد من الأقاليم الباكستانية حاليا) وبنى لهم مسجدا هناك ". [5]

المبحث الثاني: عوامل ومراحل انتشار اللغة العربية في شبه القارة الهندية

أولا: العوامل والدوافع لانتشار اللغة العربية في شبه القارة:

أ- التعامل التجاري والاقتصادي:

عندما حدث احتكاك العرب بأهالي شبه القارة الهندية عن طريق التجارة ذلك الاحتكاك الذي كان يهدف تحقيق المصالح المادية المحضة جعل الصلة اللغوية قوية بين هذين الشعبين ؛ لأن التفاهم والتعامل بين شعبين مختلفين يقتضىالصلة اللغوية المتينة بينهما.

ب- الهجرة البشرية:

إن العامل الثاني في انتشار اللغة العربية في شبه القارة الهندية هو هجرة بعض العرب إلى المنطقة الهندية و كان منهم تجار وعلماء وصلحاء في زمن مبكر وهجرة أهل الهند إلى الديار العربية وكان منهم أيضا العلماء والتجار.

ج- السيطرة السياسية:

إن السيطرة السياسية لأصحاب لغة ما تساعد على انتشار تلك اللغة في المناطق المفتوحة بالحملة العسكرية ودليل على ذلك ما وقع في منطقة السند، يقول د/ رضوان:

---

[4]- تاريخ الإسلام في الهند د/ عبد المنعم النمر صـ 60

[5]- المصدر السابق صـ 73-74

"إن بعد خضوع منطقة السند لسلطان الدولتين الأموية والعباسية واستقرار عدة آلاف من العرب فيها انتشرت اللغة العربية إلى هذا الحد أن اللغة العربية كانت تفهم في أسواق الملتان "(إحدى مدن باكستان حاليا) . [6]

إن هذا النص يشير إلى أن الهيمنة السياسية توسع دائرة استخدام تلك اللغة التي يتكلم بها هؤلاء المسيطرون كما يظهر أن هذا عامل قوي من عوامل انتشار اللغة العربية ومن ناحية أخرى إن الانحطاط يسبب تقليل أهمية اللغة التي يتحدث بها المصابون بالانحطاط يقول د/ رضوان:

" ومن المؤسف أن بعض زوال الدويلات العربية المستقلة في السند وبلوشستان في القرن الخامس للهجرة حلت الفارسية محل العربية كلغة الإدارة والتعامل الاجتماعي والتجاري بجانب اللغات المحلية ونتيجة لذلك قل استعمال اللغة العربية في السند " [7]

إن هذه التصريحات كلها تعطينا نتيجة واحدة ألا وهي أن الغلبة السياسية والانحطاط السياسي يؤثران على اللغة والأدب تأثيرا إيجابيا في حالة الفتح والسيطرة وسلبيا في حالة الهزيمة والفشل .

د- الأخلاق الكريمة لمهاجري العرب:

إن الأخلاق الكريمة التي كان يتحلى بها العرب ساعدت في نشر اللغة العربية بين سكان الهند حيث إنهم كانوا يعاملون أهالي الهند المعاملة الحسنة في الحياة الاجتماعية وهذا كان عاملا قويا في إيجاد العلاقة المبنية على الحب , والإيمان بالإسلام والأمن والسلام بين الشعبين.

ر- كتاب الله القرآن الكريم:

إن القرآن الكريم معجزة خالدة لم يسطع أحد أن يأتى بمثله على الرغم من التحدي القرآني للبشرية جمعاء وهذا مما انعكس على أهل الهند المسلمين الذين يحترمونه احتراما بالغا ويتلونه مما يتيسر لهم ويحاولون أن يفهموه ويحفظوه كما أن سكان شبه القارة الهندية في حقبة تاريخية معينة كانوا يتعلمون اللغة العربية عن طريق القرآن الكريم يشير إلى ذلك د/ رضوان قائلا:

"ويظهر من تتبع تاريخ الثقافة العربية في شبه القارة أن طريقة تعلم اللغة العربية في القرون الأربعة الأولى فيها أي في فترة الحكم العربي في إقليم السند كانت غير التي أصبحت متبعة ومألوفة بعد هذه القرون الأولى , في تلك الفترة المبكرة كان تعلم اللغة العربية بواسطة تعلم القرآن والحديث الشريف منهجا مألوفا بين الناس وسهل ذلك الاستقرار واستيطان الجاليات العربية في بلاد السند". [8]

---

[6]- اللغة العربية وآدابها في شبه القارة الهندية والباكستانية عبر القرون صـ 39

[7]- المصدر السابق صـ 41

[8]- المصدر السابق صـ 44

إن هذا المنهج لاحظه كاتب هذا البحث في مصر في أثناء تعلمه بجامعة الأزهر حيث إن الأساتذة المصريين يعلمون القواعد العربية لطلابهم من خلال الآيات القرآنية والأحاديث النبوية.

ثانيا: مراحل انتشار اللغة العربية: عندما تتبعنا الآثار لانتشار اللغة العربية في شبه القارة الهندية وجدنا أنها من الممكن أن تنقسم إلىعدة مراحل.

المرحلة الأولى: هذه المرحلة تحتوى على بداية القرن الأول للهجرة إلى نهايته حينما قام محمد بن قاسم الثقفي بفتح السند وفي هذه المرحلة لا نجد إلا نقطتين هامتين إحداهما: أن العرب قاموا بإيجاد العلاقة التجارية والاجتماعية مع أهالي الهند، وثانيتهما: عند طلوع فجر الإسلام انتشرت اللغة العربية بحكم كونها لغة دستور الدين الإسلامي القرآن الكريم والوسيلة الأساسية للوصول إلى معانيه.

المرحلة الثانية: هذه المرحلة تمتد إلى بداية الحكم العربي إلى عهد الغزنويين وفي هذا العهد أثرت اللغة العربية على الثقافة الهندية وتأثرت بها تأثرا بسيطا.

تأثير اللغة العربية على الثقافة الهندية: لقد وفد إلى الهند كثير من العلماء والأدباء العرب عند الفتح الإسلامي واختلطوا بأهل البلاد فأثروا فيهم تأثيرا ملموسا في مجال الثقافة والعلم منهم الربيع بين صبيح البصري أشهر المحدثين قدم مع الجيش الذي سيره المهدي لغزو الهند عام 159هـ. [9]ويقول د/ رينولد نكلسن:

"إن اللغة العربية كانت في أوائل القرون الوسطى لغة الكلام والكتابة لجميع المسلمين المثقفين على اختلاف قومياتهم من الهند إلى المحيط الأطلسي. [10]

هذان النصان يلقيان الضوء على هذه الحقيقة أنه في عصر الحكم العربي في منطقة السند لشبه القارة الهندية تركت اللغة العربية أثرا واضحا وجليا في ثقافتها وتجلى هذا الأثر في أنها سادت وأصبحت لغة الكتابة والإدارة الحكومية في معظم مناطقها من ناحية ولغة التعليم والتعلم في الأوساط العلمية والأدبية من ناحية أخرى.

تأثر اللغة العربية بالثقافة الهندية: يمكن لنا أن نبين تأثر اللغة العربية بالثقافة الهندية من خلال النص الآتي حيث يقول:

" كذلك كان الجانب العربي قد تأثر قديما من الاحتكاك الاقتصادي بالهنود ولغاتهم فقد تسرب إلى اللغة العربية عدد كبير من مفردات اللغات الهندية على سبيل مثل كلمة (قرنفل) كلمة هندية تستخدم بالعربية

---

[9]- د/محمود محمد عبد الله ، اللغة العربية في باكستان دراسة وتاريخا ، من منشورات وزارة التعليم الفيدرالية إسلام آباد- باكستان ،

الطبعة الأولى 1984م صـ 18

[10]- رينولد نكلسن،ترجمة د/ صفاء خلوصي، تاريخ العرب الأدبي في الجاهلية وصدر الإسلام، مطبعة المعارف بغداد عراق1969م صـ 21

كما أنه تقدم عدد من علماء السند للمساهمة في الحركة العلمية ببغداد بنقل علومهم الرياضية والطبيعية وآرائهم الفلسفية إلى العربية حتى ذاع صيت العلوم الهندية القديمة بين المثقفين من العرب". [11]

المرحلة الثالثة: هذه المرحلة تبدأ من العصر الغزنوي وتنتهي إلى عهد المغول بما فيها من عهد السلاطين ونتعرف على حالة اللغة العربية في شبه القارة الهندية في هذه الفترة من الزمن من خلال النص الآتي حيث يقول:

"في القرن الخامس الهجري انتقل حكم بلاد السند والملتان من العرب إلى أهل الفارس وروجوا اللغة الفارسية في تلك البلاد مكان اللغة العربية لأن الفارسية كانت لغة الغزنوية بذلك صارت الفارسية منذ ذلك العهد لغة الثقافة والعلم في بلاد السند والملتان بل أيضا في بعض أجزاء من بلاد الهند إلا أن اللغة العربية لم تفقد أهميتها العلمية والروحية التي لاتزال باقية في تلك المناطق وفي أيام المماليك (602هـ-688هـ) وعلى رأسهم قطب الدين (602هـ-607هـ) ومملوك محمد الغوري الذي تولى الملك بعده نسمع لأول مرة عن مدارس منتظمة ومعاهد حكومية تحت رعاية السلطان بل يرجح تأسيس أول معهد من هذا النوع إلى محمد الغوري مؤسس الدولة الغورية في أجمير وذلك بعدما احتل جتوز ولكن امتازت بشهرة المدرستان المعزية والناصرية بدار الملك دلهي". [12]

في هذه العصور نجد أن اللغة العربية كانت تحارب باللغة الفارسية إلى جانب اللغات الأخرى المحلية وإن كانت الغلبة في صالح اللغة الفارسية بحكم كونها لغة الإدارة والشئون الحكومية إلا أن اللغة العربية لم تفقد أهميتها في هذه المنطقة وخاصة نرى في عصر الغوري التقدم الملحوظ نحو انتشار اللغة العربية ألا وهو قيام المدارس الدينية التي كانت بمثابة معاهد اللغة العربية.

المرحلة الرابعة: هذه المرحلة تبدأ من عصر المغول وتنتهي إلى عصر الاستعمار البريطاني في الهند ويبين النص الآتي حالة انتشار اللغة العربية في هذه المرحلة حيث يقول:

"يبدأ عصر المغول في سنة 932هـ بفتح ظهير الدين بابر شاه التيموري مؤسس الدولة المغولية الذي كان عالما كبيرا باللغة العربية [13] واتسعت هذه الدولة في عهد جلال الدين أكبر اتساعا كبيرا ويمتاز عهده بحركة علمية قوية فقد جمع في بلاطه علماء وحكماء وأدباء أجلاء من داخل البلاد وخارجها أمثال أبي

11- د/ جميل أحمد حركة التأليف صـ 35-43، وانظر أيضا ، عربي أدبيات من باك وهند كا حصه (مساهمة الهند وباكستان في الآداب العربية) د/ زبيد أحمد ، ترجمة أردية لشاهد حسين رزاقي ، إدارة ثقافة إسلامية ، كلب رود لاهور باكستان. وأنظر أيضا, M.G. Zubaid Ahmed (Contribution of Indian and Pakistan to Arabic Literature) Ashraf Press Lahore Pakistan , Second Edition, 1967 Page No. 5

12- الأدب العربي في شبه القارة ، جامعة العلامة إقبال المفتوحة إسلام آباد الطبعة الأولى 2002م من صـ 31 إلى 34.

13- Narendra Nath Law, Promotion of learning in India Long Mans green and company London 1916 Page No. 121

الفيض فيضي المفسر والأديب في العربية ونقلت في عهده روائع من الآداب العربية كمعجم البلدان ليـاقوت وحياة الحيوان للدميري وغيره من العربية إلى الفارسية ومن علماء هذا العصر الكبار الذي كان لهم إنتاج لغوي وأدبي في العربية هو أبو الفيض فيضي صاحب تفسير سواطع الإلهام في صنعة الإهمال (أي في الحـروف غـير المنقوطة) أما سلطان محي الدين أورنك زيب عالمكير هو من علماء السلاطين كان يجيد اللغة العربية والفارسـية كما كان عالما فقيها حافظا للقرآن الكريم ومن آثاره العلمية العظيمة الفتوى الكبرى في ستة مجلدات ضـخمة الموسومة بفتاوى عالمكيرية المعروفة في البلاد العربية بالفتاوى الهندية وقامت بتأليفها لجنة علمية مكونـة مـن عشرين عالما ". [14]

عرفنا مما سبق من التصريحات أن اللغة العربية كانت على موضع الاهتمام عند بعـض السـلاطين المغول كما أنهم كانوا يبذلون جهودهم في إخراج الكتب باللغة العربية مما يقوم الدليل علـى ذلـك أن اللغـة العربية كان يهتم بها العلماء والسلاطين إلى جانب اللغة الفارسية التي كانت لغة إدارة البلاد وشئونها.

المرحلة الخامسة: هذه المرحلة تبدأ من استيلاء البريطانيين على الهند سنة 1848م وتنتهى إلى تقسيم الهند سنة 1947م ونحاول أن نتتبع حالة اللغة العربية في هذه الفترة من الوقت من خلال التصـريح الـذي جـاء بـه دكتورمحمود محمد عبد الله حيث يقول:

"كان أول فكرة للحكومة البريطانية أن تروج فيهم نظاما جديدا للتعليم والتربية الذي يتفـق مـع أهوائهم وأفكارهم مما جعل العلماء يتصدون له بالإنكار والمعارضة والذي يهمنا في هذه الفترة هـو حركـة التأليف باللغة العربية فقد استمرت بغير ضعف بل ازدادت قوة وصلابة ونهضت الأنشطة الأدبية إلى مسـتوى عال وكثر روادها ويشهد على ذلك ما خلفه العلماء من المؤلفات العربية التي تدل على رسـوخهم في العلـم وتعمقهم في اللغة أمثال العلامة عبد الحي اللكنوي صاحب نزهة الخواطر والنواب صديق حسن خان القنوجي صاحب كتاب أبجد العلوم والشيخ أحمد رضا خان البريلوي صاحب الفتاوى الرضوية والشيخ أشـرف علـي التهانوي الذي ترك عددا ضخما من الكتب القيمة وغيرهم من العلماء". [15]

يوضح لنا هذا النص أن اللغة العربية واجهت العقبات والصعوبات في نشرها حيـث إن الإنجليـز كانوا يريدون أن يقضوا على تلك الوسائل العلمية التي تساعد على التفهيم والتقريب إلى القرآن والحـديث أو بعبارة أخرى أن يروجوا ذلك النظام الذي يخدم أفكارهم ونظرياتهم لا أفكار المسلمين ولغتهم إلا أن العلمـاء المسلمين الغيورين لم يتوقفوا و لم يلتفتوا إلى ما اتخذ الإنجليز من إجراءات ضد الدراسات الإسـلامية والعربيـة عامة وظلوا يخدمون اللغة العربية وكتاب الله القرآن الكريم بإخراج الكتب القيمة باللغة العربية وشرح معـاني القرآن الكريم.

---

[14]- د/ السيد رضوان , اللغة العربية وآدابها في شبه القارة الهندية عبر القرون من صـ 212 إلى 215

[15]- اللغة العربية في باكستان دراسة وتاريخا صـ 68

المرحلة السادسة: تبدأ هذه المرحلة من تقسيم الهند سنة 1947م إلى اليوم وخير ما يبين لنا حالة اللغة العربية وآدابها في هذه الحقبة من التاريخ لشبه القارة الهندية الباكستانية هو قول دكتور أحمد إدريس حيث يقول:

" إن الأدب العربي في شبه القارة ارتبط بحقبة تاريخية معينة كانت للمسلمين فيها السيطرة على مقاليد الحكم حتى و إن كانت سيطرة ضعيفة فلما زال حكمهم واحتل الإنجليز الهند اضمحل الأدب العربي فلما استقلت الهند انتهى الأدب العربي وبقي تعليم اللغة العربية في المدارس الدينية والجامعات سيفا خشبيا لا يفيد في شيء وذلك لأن اللغة الإنجليزية أصبحت لغة الحضارة واكتفى المدرسون في معظم المدارس الدينية بأن يقرأوا النص العربي للطلاب ثم يترجموها لهم إلى لغة محلية فقط وهذه هي الحالة التي نحن عليها في باكستان اليوم وقد لا يختلف الحال في الهند عنه في باكستان كثيرا ".[16]

هذا هو رأي دكتور أحمد إدريس ونتفق مع رأيه إلى هذا الحد أننا لا ننكر بعدم الاهتمام بدراسة اللغة العربية بعد استقلال الهند وباكستان كما ينبغي أن يكون وبالشكل الذي يجب أن تكون عليه دراسة اللغة العربية إلا أننا نريد أن نشير إلى الشخصيتين الهامتين اللتين قامتا بالمحاولات العلمية والأدبية الجادة والمثمرة في مجال نشر اللغة العربية وآدابها في شبه القارة الهندية ، من المنطقة الهندية الأستاذ الشيخ أبو الحسن الندوي رحمه الله رحمة واسعة صاحب كتاب (ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين) و(روائع إقبال) والكتب الأخرى الكثيرة التي نالت الإعجاب من بحاثة العرب، ومن المنطقة الباكستانية دكتور ظهور أحمد أظهر بارك الله في عمره صاحب كتاب (إقبال العرب على دراسات إقبال) والكتب الكثيرة الأخرى باللغة العربية.

المبحث الثالث: انتشار العلوم الإسلامية والعقلية في شبه القارة

قبل أن نتطرق الكلام عن انتشار العلوم العقلية والأفكار الإسلامية من الخير أن نلم إلماما وجيزا عن الحالة الدينية والثقافية في شبه القارة الهندية.

الحالة الثقافية والدينية لشبه القارة الهندية وقت ظهور الإسلام:

أولاً: الحالة الدينية: يعرفنا على الحالة الدينية في شبه القارة الهندية النص الآتي حيث يقول:

"إن الأديان المشهورة في الهند هي الإسلام والهندوسية والبوذية والسيخية والمسيحية، والهندوسية أقدم هذه الأديان في الهند تليها البوذية التي انتشرت قبل الميلاد بنحو خمسمائة سنة ثم الإسلام ثم السيخية ثم المسيحية التي بدأت تنتشر مع بعثات الغرب التجارية وبعد دخول الإنجليز واهتمامهم بنشرها وهي في الجنوب أكثر من الشمال وهذا لا ينفي أنه كان لليهودية والمسيحية بعض أتباع قليلين بعد الإسلام". [17]

---

[16]- د/ أحمد إدريس ، الأدب العربي في شبه القارة الهندية حتى أواخر القرن العشرين عين للدراسات والبحوث الإسلامية ، القاهرة مصر ، الطبعة الأولى 1998م ، صـ 20-24

[17]-، د/ عبد المنعم النمر تاريخ الإسلام في الهند صـ 24

هذا النص يوضح لنا أن الهند كانت تحتضن كثيرا من الأديان قبل الإسلام واستمر بقاؤها في هـــذه المنطقة عبر القرون إلى الآن وهذه الأديان لأنها انحرفت وتغيرت وتباعدت عن شكلها وتعليماتها الأصلية لـــذلك ظهر الإسلام وحاول هذا الدين وأتباعه ولغته العربية أن يؤثروا على أتباع هذه الأديـــان المختلفـــة ولغـــاتهم المتعددة في شبه القارة الهندية.

ثانيا: الحالة الثقافية: إن العلوم التي كانت معروفة بين مثقفي شبه القارة الهندية وقت ظهور الإســـلام والـــتي كانت مرآة صافية لأسس الثقافة الهندية نحاول أن نتعرف عليها من خلال النص الآتي حيث يقول:

"إن علوم الرياضة والفلك والكيمياء وغيرها تعتبر بلاد السند والهند من البلاد التي أوجدت هـــذه العلوم أو كان مركزا لها في القديم فهذه العلوم قد نهضت في بلاد السند بعد فتح الاسكندر الأكبر لها في ســـنة 332 قبل الميلاد نتيجة للاتصال الفكري لأهل السند باليونان وثقافتهم وحضارتهم في الفترة التي كانت السند تحت الحكم اليوناني أضاف أهل السند الكثير إلى هذه الذخيرة العلمية التي أخذوها من اليونان حتى صاروا مـــن المتخصصين في تلك العلوم وكذلك اشتهر أهل السند والهند بالعلوم الطبية والفلســـفية في القـــديم وفي صـــدر الإسلام ثم زادت هذه العلوم وازدهرت بميلاد السند والبنجاب (أحد من أقاليم الباكستانية) وخارجها في عهد العرب ".[18]

هذه هي العلوم والفنون التي قامت الهند ببناء صرح حضارتها جاعلا هذه العلوم المادة الأساسية لهـــا واشتهرت هذه الحضارة والثقافة الهندية في أنحاء العالم خاصة في علم الفلسفة وإذا تعمقنا في هذه العلوم نجد أن جميع العلوم هذه تتكلم عن الكون والمادة , هذا صحيح أن المصادر الإسلامية لا تنكر هذه العلوم إلا أن الفرق بين العالم المسلم بهذه العلوم وغيره يتضح في أن المسلم تزيده هذه العلوم إيمانا يقينا واعترافا بقـــدرات الله عـــزّ وجل أما غيره فهو لا يخرج عن الدائرة المادية فهذا هو التغيير والتأثير المطلوب من المصادر الإسلامية والعلـــوم العقلية للبشرية فهذا هو الفرق بين الفلاسفة والخبراء المسلمين في مجال الكيمياء والطب والرياضيات والفلـــك والنجوم وبين غيرهم من أصحاب الأديان المختلفة من اليهودية والمسيحية والهندوسية والبوذية.

انتشار العلوم الإسلامية العقلية في شبه القارة الهندية:

عندما نتصفح أوراق التاريخ نجد أن انتشار العلوم الإسلامية والعقلية في شكل مـــنظم لم يـــتم في القرون الأربعة الأولى بعد وصول الإسلام إلى شبه القارة الهندية يؤيد ذلك الكلام الآتي حيث يقول:

"بقي الحكم للعرب في السند قرنين ونصف قرن وتاريخ الآداب العربية والعلوم الإسلامية خـــلال هذه المدة فهو في ظلام دامس حتى لا نكاد نسمع عن حلقات الدرس لنشر علوم القرآن والحديث والفقه الـــتي كان المسلمون يهتمون بها حينذاك في جميع الأراضي المفتوحة كما لا نسمع عن الكتب التي كانت تدرس فيها أو التي ألفت في تلك الحقبة من الزمن مع ذلك تتوفر لدينا بعض الأدلة على نشاط العـــرب في نشـــر العقيـــدة

---

[18]- دكتورة شهناز أسجد الأدب العربي في شبه القارة ، ، صـــ 50

الإسلامية وذلك هو بناء المساجد في كل منطقة من مناطق المسلمين ". [19] إن العلوم الإسلامية والعقلية بدأت تدرس في شكل منظم في القرن السادس للهجرة كما جاء في النص التالي:

"في عهد الغوري (582هـ-602هـ) تأسست المدارس لأول مرة برعاية الدولة ووفد إليها طائفة من العلماء الأعاجم البارعين في اللغة والنحو والفقه وأصول الفقه والكلام والتصوف فعكفوا في المدارس جادين على ترقية هذه العلوم". [20]

إن هذا النص يوضح لنا أن البداية المنظمة لتدريس العلوم الإسلامية وجدت في القرن السادس للهجرة إلا أن العلوم العقلية ازدهرت وانتشرت إلى حد بعيد في أوائل القرن العاشر للهجرة ويؤيد ذلك ما يشير إليه القول الآتى:

" وفي أوائل القرن العاشر للهجرة السادس عشر للميلاد ازدادت رغبة علماء الهند إلى العلوم العقلية فانتشرت المنطق والحكمة والكلام في الهند إلى مدى بعيد". [21]

ولكي نعرف اهتمام القائمين على نشر هذه العلوم وترجيحاتهم بين العلوم الدينية والعقلية نتجه إلى ما صرح به الأستاذ أبو العرفان الندوي في مقاله الذي أعده في موضوع (خدمات المسلمين الهنديين في مجال العلوم العقلية) فهو القائل : "إن الفترة التي تبدأ من القرن الأول للهجرة وتمتد إلى القرن العاشر للهجرة إن الأساتذة كانوا يهتمون ويضعون في اعتبارهم الأول أن يقوموا بتدريس التفسير والفقه والحديث وأصول الفقه والصرف والنحو والأدب والبلاغة لأن التعليم لهذه العلوم كان معيارا للفضل العلمي ووسيلة للتوظيف والتعيين في الدوائر الحكومية مع أن البداية كانت تمت من القرن السادس للهجرة لتدريس العلوم العقلية من الفلسفة والمنطق إلا أن الاهتمام البالغ والترجيح الواضح كان في مجال الفقه وأصول الفقه ". [22]

هذا ما قمنا به من التعارف عن انتشار العلوم الإسلامية العقلية في الفترات المختلفة من الزمن كما أننا أوضحا الراجح والمرجوح والأهم والمهم من بينها عند علماء ذلك الوقت.

المبحث الرابع : سمات الشعر وفنونه في شبه القارة الهندية .

---

[19]- د/ جميل أحمد حركة التأليف باللغة العربية صـ 6

[20]- المصدر السابق صـ 10

[21]- المصدر السابق صـ 12-13، وانظر أيضا ، مقال للأستاذ أبو العرفان الندوي العلوم والآداب الإسلامية في الهند مجموعة من المقالات للكتاب المختلفين منها في الموضوع (خدمات المسلمين الهنديين في مجال العلوم العقلية) مكتبة جامعة دلهي الجديدة الهند الطبعة الأولى 1986م صـ 70

[22]- مقال للأستاذ أبو العرفان الندوي العلوم والآداب الإسلامية في الهند صـ 69 ،

نذكر في هذا المبحث تلك السمات التي يتميز بها الشعر وفنونه عند أدباء شبه القارة كما يوضح لنا هذا المبحث مدى الاهتمام بالشعر العربي لدى شعراء هذه المنطقة وقبل أن نتجه إلى هذه التفاصيل من المناسب أن نتعرف على تعريف الشعر العربي يقول دكتورطه حسين مبينا معنى الشعر العربي في النص التالي:

" الناس يختلفون في معنى الشعر اختلافا غير قليل ومنهم من يرى أن الشعر هو الكلام المنظـــوم في الوزن والقافية ومنهم من يرى أن الشعر هو الكلام الذي يعتمد فيه صاحبه على الخيال ويقصد فيه الجمال الفني الذي يخلب الألباب ويستهوي القلوب لا يعنيه أن يكون هذا الكلام منظوما في الوزن والقافية أو غير منظـــوم ومنهم من يقف موقفا وسطا بين أولئك وهؤلاء فلا يطلق لفظ الشعر إلا على الكلام المنظوم الذي يعتمد فيـــه صاحبه على الخيال ويقصد فيه الجمال الفني فهو لا يرى منظومات النحو والصرف شعرا وإن نظمت في الوزن والقافية "[23]

بعد استعراض هذا النص إن دكتور يبدي رأيه في بيان معنى الشعر واضحا فهو يقول :

"إن العرب متفقون في جميع عصورهم على أن الشعر يجب أن يكون موزونا مهما يكن الوزن الذي يقصد إليه الشاعر لا يستطيع العربي أن يتصور الشعر إلا إذا كان لفظه مقيدا بهذا المقياس العروضي ". [24]

عرفنا من هذا النص أن الشعر عند العرب هو الكلام الموزون حسب قواعد علم العروض والقافيـــة مهما يكون الغرض من هذا الشعر .

سمات الشعر وفنونه في شبه القارة: إن الشعر العربي واحد ولكن سماته تختلف باختلاف البيئات والمناطق الـــتي ينشأ فيها لأنه يتأثر بعناصرها وما تحتوي عليها هذه البيئة من الأفكار والعادات والتقاليد والحياة العامة كما أنه يتأثر من أصحاب النظريات المختلفة تجاه طبيعة الحياة في تلك المنطقة وهذه الحقيقة التي لا نستطيع أن ننكرهـــا أن البيئة الهندية تختلف عن البيئة العربية اختلافا واضحا ولأجل ذلك إن الشعر العربي الذي قالـــه شـــاعر مـــن شعراء الهند والذي نشأ وترعرع في البيئة الهندية يحمل بعض السمات الخاصة بعناصرها المختلفة من الاجتمـــاع والثقافة لأن الشاعر والأديب يؤثران على البيئة والبيئة تؤثر عليهما أيضا وعندما نبحث عن نقطة البدء للشـــعر العربي في شبه القارة الهندية نجد أن الشعر العربي قبل أن يقوله أهل هذه المنطقة عرفوه علـــى ألســـنة الشـــعراء العرب النازلين ببلادها مع الجيوش الإسلامية العربية أو من قام بتسجيل الحوادث الحربية في هذه المنطقـــة مـــن العرب. يقول دكتور عبد الكبير محسن :

" كانت الخطوة الأولى في إيصال الشعر العربي إلى مناطق السند والهند خطاها الشعراء العرب أمـــا الشعر العربي على ألسنة الشعب الهندي المسلم فلم يبزغ إلا في القرن الثاني الهجري" [25]

---

[23]- المصدر السابق صـــ 61

[24]- المصدر السابق صـــ 62

هكذا عرفنا تاريخ بداية الشعر العربي في الهند والآن نتجه إلى معرفة سماته البارزة من خلال النص الآتي:

"1- أن الشعر العربي الهندي لم يستفد من التجارب الشعرية في اللغتين الفارسية والهندية وهما لغتان شاعرتان فيهما من الثراء ما لا يوصف.

2- أن اللغة العربية لم تتطور في هذه المنطقة كما تطورت في الأندلس مع أن الاحتكاك مع العرب لهاتين المنطقتين كان في فترة زمنية واحدة إلا أنه لم يستطع أحد من أبناء الهند أن يترك أثرا واضحا في تاريخ الأدب العربي كما ترك أبناء الأندلس .

3- أن شعراء العربية في شبه القارة قلدوا و لم يبتدعوا فالرثاء ومدح الرسول صلى الله عليه وسلم والسلاطين والأمراء هي الموضوعات الأساسية التي شكلت العمود الفقري للشعر العربي في شبه القارة وإن وجدت موضوعات أخرى فهي ثانوية لا أساسية .

4- أن هذا الشعر قلت فيه المنظومات الروائية والتاريخية التي كان من المفترض أن تستعار من الأدبين الفارسي والهندي ثم تهضم وتصاغ في شكل عربي جميل .

5- أن الشعراء العربية في شبه القارة كثيرا ما وضعوا أمامهم نماذج بعينها من الشعر العربي اشتهرت بينهم إما لكونها جزءا من مناهج الدروس العربية في المدارس في الغالب أو لأسباب أخرى ونسجوا على منوالها مثل نهج المعلقات وبردة البوصيري .

6- أن شعراء العربية في شبه القارة لم يعبروا في مشاعرهم بالغالب باللغة العربية إلا في نماذج قليلة حين صدقت أعطتنا انتاجا جيدة ". [26]

خلاصة الكلام أن الشعر العربي في شبه القارة الهندية كان يتسم بسمات مختلفة حيث إنه لم يستفد بالموضوعات الشعرية الفارسية والهندية كما أننا لو قارننا بين الأندلس والهند حيث إن المسلمين العرب دخلوا في كلتا المنطقتين في فترة زمنية واحدة إلا أن شبه القارة الهندية لم تنجب شخصيات علمية وأدبية مماثلة بشخصيات فكرية التي أنجبتها الأندلس بالإضافة إلى ذلك أن الشعر العربي في شبه القارة كان يُعرف بعدم

---

[25]- مقال للدكتور عبد الكبير محسن , نشأة الشعر العربي في الهند وأهم ملامحه , نشر في مجلة الدراسات الإسلامية الصادرة من مجمع البحوث الإسلامية إسلام آباد العدد الرابع المجلة رقم الثامن والعشرون لشهر أكتوبر وديسمبر 1993م صـ 138

[26]- دكتورأحمد إدريس , الأدب العربي في شبه القارة الهندية حتى أواخر القرن العشرين صـ 223 وما بعدها من الصفحات، أنظر أيضا الأدب العربي في شبه القارة الدكتورة شهناز أسجد صفحة: 169 وما بعدها من الصفحات من هذا الكتاب

الإبداع والسذاجة الفكرية والجمود وتقليدية الموضوعات وقلة منظومات الروائية والتاريخية ووضع النماذج العربية من القصائد القديمة عند قرض الشعر وعدم تعبير مشاعرهم وأحاسيسهم في معظم الأحيان باللغة العربية.

فنون الشعر العربي في شبه القارة الهندية: ذكرنا فيما مضى من سمات الشعر العربي ونذكر في السطور التالية تلك الفنون الشعرية التي كانت متعارفة في المنطقة الهندية ويذكر بعض هذه الفنون النص الآتي:

"1- الشعر التعليمي: أن أدباء العربية في شبه القارة لم يخرجوا عن إطار العلوم في منظوماتهم ومن هذه المنظومات مثلا منظومة في العوامل النحوية للشيخ عبد القادر بن خير الدين الجونبوري ومنظومة في التصريف لبدر الدين إسحاق الدهلوي وقد نظم الشاعر الكبير آزاد بلكرامي قصيدة على وزن وقافية البردة وسماها القصيدة البديعية حيث إن كل بيت من أبياتها فيه نوع من أنواع البديع وفنونه .

2- المعارضات الشعرية : المعارضات الشعرية باب معروف في الأدب العربي وأدبنا العربي في شبه القارة مليئ بهذا النوع لأن أدباؤنا كانوا يضعون أمامهم أنماطا عربية من القصائد ينظمون على غرارها محاولين الوصول إلى شيء يشبه الأصل

3- الرسائل الشعرية**:** تبادل أدباء العربية في شبه القارة الرسائل الشعرية فيما بينهم مثل الرسائل النثرية لكن الرسائل الشعرية لم تنتشر كثيرا في الشمال بين الأدباء وانتشرت بينهم في الجنوب ".[27]

4- المدح: إن المدح فن من فنون الشعر الذي تناوله شعراء العربية في كل العصور وإن المدح كما عرفه ابن منظور في لسان العرب: نقيض الهجاء وهو حسن الثناء[28] بينما أفصح الزبيدي عن معنى المدح قائلا: المدح بمعنى الوصف بالجميل ويقابله الذم [29]

بعد ما عرفنا معنى المدح نقول أن هذا الفن كان معروفا في شبه القارة سواء كان هذا المدح يختص بالرسول صلى الله عليه وسلم أو غيره من العلماء والصلحاء والشخصيات الاجتماعية الهامة من الأمراء والسلاطين

على سبيل المثال في مدح رسول صلى الله عليه وسلم يقول د/ جميل أحمد " السيد غلام علي آزاد بلكرامي لقب بحسان الهند بسبب قصائده فى مدح النبى صلى الله عليه وسلم وكان جديرا بهذا اللقب ". [30]

5-الرثاء : إن الرثاء لون من ألوان المدح إلا أن هذا المدح لا يصدر إلا عن بالغ الحزن وشديد الأسى كما يقول الأستاذ أميل ناصف الرثاء فن من فنون الشعر الغنائي يعبر فيه الشاعر عن حزنه وتفجعه لفقدان حبيبه[31]

---

[27]- الدكتورة شهناز أسجد الأدب العربي في شبه القارة الهندية صفحة: 213 وما بعدها من صفحات هذا الكتاب

[28]- الإمام جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور لسان العرب الطبعة دار صادر بيروت 1974م مجلد 2 ، صـ 589

[29]- الإمام محمد مرتضى الزبيدي، تاج العروس دار مكتبة الحياة بيروت، دون سنة الطبع، جـ 2، صـ 232

[30]- د/ جميل أحمد حركة التأليف باللغة العربية ، صـ 139

هذا الفن أيضا كان معروفا لدى شعراء الهند الذين كانوا ينظمون الشعر باللغة العربية وسيد غـــلام علي آزاد بلكرامي له مراث فيها حزن ودمع. [32]

6- الهجاء: " هذا الفن الشعري معروف منذ العصر القديم لأنه يصدر عن إحساس إنســـاني إذ أن الشاعر يرى الجمال فيقول كلمات يثنى عليه بها وإذا رأى شيئا قبيحا ومؤلما بدأ يستنكره ويهجـــوه من هنا نستطيع أن نقول أن الهجاء ترجمة لمشاعر إنسانية هذه الترجمة لشعور إنساني في شكل النظم كان موجودا عند شعراء الهند الذين كانوا ينظمون الشعر باللغة العربية وعلى سبيل المثـــال الشـــيخ فضل الحق الخير آبادي ". [33]

إلى جانب هذه الفنون كانت الحكمة والوصف والفخر والغزل بأنواعه المختلفة منها الغزل الصوفي والغزل الحسي وهو عبارة عن نظم الشعر في جمال المرأة. [34]

هذا مجمل ما قيل عن فنون الشعر عند شعراء العربية في شبه القارة الهندية وهذه الدراسة وإن كانت متسمة بسمة الاختصار إلاّ أنها تشير بكل وضوح إلى هذه الحقيقة أن الفنون الشعرية العربية التي كانت متعارفة في عالم العرب معظمها كانت موضع الاهتمام عند شعراء شبه القارة الهندية.

المبحث الخامس : سمات النثر العربي وفنونه في شبه القارة الهندية:

إن الأدب العربي عبارة عما ورد في الشعر والنثر من الأفكار والخبرات في مجـــالات الحيـــاة علـــى اختلافها كما أشار إليه دكتور طه حسين حيث قال: "إن الأدب في جوهره إنما هو مأثور الكلام نظما ونثـــرا" [35]

وقد ذكرنا في المبحث السابق سمات الشعر العربي وفنونه في شبه القارة الهندية إذن لا بد من ذكـــر سمات النثر العربي وفنونه في هذه المنطقة الذي يعتبر العمود الثاني لعمارة الأدب العربي , يقول دكتـــور أحمـــد إدريس فى هذا الصدد : " سمات النثر العربي دقيقة ترسم صورة للنثر العربي في شبه القارة أقرب إلى النثر العربي في دياره زمن الانحطاط" [36] أما لمعرفة مستوى النثر العربي في دياره زمن الانحطاط يكفي لنا قول دكتور أحمد

---

[31]- الأستاذ أميل ناصف، أورع ما قيل في الرثاء، دار الجيل بيروت، 1414هـــ، صـــ 5 .

[32]- د/ جميل أحمد , حركة التأليف باللغة العربية ، صـــ 140

[33]- الباحث ممتاز أحمد السديدي ، العلامة محمد فضل الحق الخير آبادي، حياته وشعره العربي، رسالة الدكتوراه قدم بها إلى قسم اللغة العربية لكلية الدراسات الإسلامية والعربية بجامعة الأزهر القاهرة وحصل عليها شهادة الدكتوراه عام 2003م ، صـــ 180

[34]- المصدر السابق ، صـــ 180 وما بعدها من صفحات هذه الرسالة .

[35]- د. طه حسين , من تاريخ الأدب العربي العصر الجاهلي والعصر الإسلامي صـــ 32

[36]- دكتورأحمد إدريس , الأدب العربي في شبه القارة الهندية حتى أواخر القرن العشرين صفحة :77

الزيات حيث يقول: "فلما ضعفت الخلافة وقام بالأمر غير أهله سرى الضعف إلى الكتابة" [37] ويلقي الضوء بأكثر وضوح على هذه المسألة دكتور أحمد إدريس قائلا: "وكأن أدباء العربية في شبه القارة حاولوا تقليد أدباء العرب فقلدوهم في عصر تدني أسلوبهم بل لم يجيدوا هذا التقليد فجاء نثرهم حاملا في بطنه أجنة مشوهة غير كاملة زاد في قبحها عدم إتقان التقليد. [38]

استخلصنا من هذه الأقوال والآراء إلى القول بأن النثر في شبه القارة الهندية لم يكن على المستوى الثقافي اللائق وتشبه سماته بسمات النثر العربي في العالم العربي زمن الانحطاط السياسي والنقطة الثانية أن الأدباء في شبه القارة الهندية قاموا بتقليد الأسلوب العربي نثرا حينما كان هذا الأسلوب ضعيفا وتسرب هذا الضعف فيه بسبب الانحطاط السياسي والنقطة الثالثة أن أدباء العربية في شبه القارة قاموا بالتقليد دون التمكين والاتقان فيه حتى ينقلوا الأسلوب العربي في النثر كاملا الذي كان سائدا في العالم العربي حينئذ ولو كان ضعيفا بل راحوا يندمجون بالأسلوب العربي الأسلوب الهندي وهذا الاندماج شوه صورة النثر العربي في شبه القارة الهندية ونتوجه إلى ذكر سمات النثر في هذه المنطقة وذلك من خلال النص الآتي:

"1- إن الأدباء في شبه القارة الهندية فهموا أن جودة الأسلوب هي الصنعة وحدها فتكلفوا فيها وأغرقوا أساليبهم بها ولو كان الموضوع لا يقتضيها.

2- إن سمات هذا النثر لا يمكن إخضاعها لأدوار وحقب بل لا نستطيع على تمييز أسلوب كاتب واحد عن غيره في الغالب.

3- إن الحواشي والشروح التي كتبت تعليقا على الكتب العربية شذت عن النص المسجوع في جله في أدبنا في شبه القارة.

4- إن النثر العربي في شبه القارة خلا من القصص رغم ثراء بيئتهم بالحكايات والقصص الفارسية والهندية.

5- إن الأدباء لم يتخذوا اللغة العربية وسيلة للتعبير عما في خيالهم كبشر.

6- إن كتاب النثر في شبه القارة نظرا لعدم اختلاطهم بالعرب صعب عليهم تحديد جنس بعض الأعلام خاصة أسماء البلدان.

7- إن أمثلة النثر الراقي لم نجدها إلا عند من عاش بين العرب وأقام فترة في ديارهم فشذب القيام قلمه وهذب أسلوبه حتى صارت اللغة العربية خالصة من كل عجمة ". [39]

وإذا تعمقنا وتدبرنا في هذه السمات للنثر العربي في شبه القارة الهندية وجدنا بعض مواطن الضعف وبعض مواضع القوة وإن كانت مواطن الضعف كثيرة فلا عجب من هذه الكثرة لأن البيئة الهندية ليست كبيئة

---

[37]- د. أحمد حسن الزيات ، تاريخ الأدب العربي دار الكتب الإسلامية لاهور باكستان، صـ 125

[38]- دكتورأحمد إدريس , الأدب العربي في شبه القارة الهندية حتى أواخر القرن العشرين صفحة : 77

[39]- المصدر السابق، صـ 81-83

عربية وهكذا أدباؤها ومثقفوها كما أن المتطلبات الاجتماعية والسياسية والدينية والثقافية في هذه المنطقة تختلف عن العرب هذه الأسباب والفروق والاختلاف في هاتين البيئتين أدى إلى إيجاد هذه المواطن الضعيفة في النثر العربي في هذه المنطقة كما أن هذه النقاط الضعيفة نجدها في النثر العربي لجميع المناطق التي تقطنها غير الناطقين باللغة العربية أما بالنسبة للنقاط القوية فمنها ما يلي:-

أولا: إن النثر العربي اشتغل به أدباء شبه القارة وألفوا كتبا في شتى مجالات الدراسات الإسلامية والأدبية كما نلاحظ في المبحث التالي من هذا البحث.

ثانيا: إن القسم الراقي من النثر العربي لا تنقصه ولا تفقده شبه القارة الهندية وإنما وجد نوعان من النثر العربي نوع يشتمل على المستوى الضعيف ونوع يحتوى على المستوى الراقي وهذه بشرى لمن يهتم بالأدب العربي في شبه القارة الهندية.

فنون النثر العربي في شبه القارة الهندية:

حينما تكلمنا عن الأدب العربي في شبه القارة الهندية قلنا إن الأدب العربي يحتوى على عمودين أساسيين وهما الكلام المنظوم والمنثور وكما أن الشعر العربي يحتوى على سماته المختلفة وفنونه فكذلك إن النثر العربي يشتمل على شتى السمات والفنون وذكرنا فيما سبق سمات النثر في هذه المنطقة ونجنح الآن إلى ذكر فنونه المختلفة مكتفيين بالإشارة إلى تلك الموضوعات والفنون النثرية التي اشتغل بها أدباء شبه القارة ونشير إلى بعض المؤلفات العربية في هذه الفنون في المبحث القادم وإذا اطلعنا على الكتب المختلفة التي أعدت لإلقاء الضوء على الأدب العربي في شبه القارة نجد أنها تشير إلى تلك الفنون النثرية باللغة العربية التي قام أدباء الهند بتناولها دراسة وتدريسا وتأليفا وتصنيفا وهي كما وردت فى النص التالى :

"النحو والصرف، و المعاجم و علوم البلاغة وعلوم اللغة والإنشاء والرسائل والأمثال، والمقامات ، والحيل اللفظية، وتفسير القرآن، وأصول تفسير القرآن، وعلوم الحديث، وعلم أصول الحديث، وعلوم الفقه وأصول الفقه، والتصوف الإسلامي، وعلم الكلام، وعلم الفلسفة، وعلم اللغة العربية ". [40]

وإذا قمنا بإحصاء هذه الفنون وجدنا عددها ما يقرب العشرين فنا وهذا العدد الكبير إن دل على شيء فإنما يدل على اهتمام أدباء شبه القارة باللغة العربية وبشتى فروع الدراسات الإسلامية والعربية مع أن هذه المنطقة ليست عربية بالرغم من ذلك هذا العدد الهائل للعلوم والفنون التي اشتغل بها أدباء هذه المنطقة

---

[40]- د. زبيد أحمد , عربي أدبيات مين باك وهند كا حصه (مساهمة شبه القارة الهندية في الأدب العربي) ترجمه إلى اللغة الأردية من اللغة الإنجليزية شاهد حسين رزاقي، إدارة ثقافت كلب رود لاهور باكستان، الطبعة الأولى 1973م، صـ 34 وما بعدها من صفحات هذا الكتاب ، أنظر أيضا الأدب العربي في شبه القارة د. شهناز أسجد صـ 105 وما بعدها من صفحات هذا الكتاب، وأنظر أيضا الأدب العربي في شبه القارة الهندية حتى أواخر القرن العشرين صـ 87 وما بعدها من صفحات هذا الكتاب.

طوال هذه الفترة من وصول الإسلام إلى الآن يشير إلى حبهم وولوعهم وشغفهم البالغ باللغة العربية وتعليمها وتدريسها والتأليف والتصنيف بهذه اللغة ذات المنزلة السامية والمكانة العالية لدى المسلمين في شبه القارة الهندية الباكستانية.

المبحث السادس : الإنتاج الفني والأدبي في شبه القارة الهندية

ذكرنا فيما سبق سمات النثر وفنونه باختصار وبقي علينا أن نقدم الإنتاج الفني والأدبي باللغة العربية في شبه القارة الهندية الباكستانية وفيما لا شك فيه أننا حينما قمنا بجمع المعلومات في هذا المجال وجدنا مقدارا هائلا للمصنفات العربية في شتى مجالات الدراسات الإسلامية والأدبية ولا يتسع المقام في هذا البحث أن نحصيها جميعا ولكن نذكر بعضها لتبيين موضوعنا مقسما بين العلوم والفنون المختلفة.

أولا: علم الصرف والنحو: قبل أن نذكر المصنفات العربية في هذا المجال نرى من الخير أن نعرف شيئا عن هذين العلمين، أقول إن السبب لجمع هذين العلمين في العنوان هو أن الصرف كان جزءا من النحو في العصور المتقدمة وأشار إلى ذلك دكتور عبد الرؤوف محمد عثمان مبينا ما يراد بعلم الصرف والنحو قديما وحديثا فهو يقول:

"كان النحوي يتكلم في البداية عن أحوال الكلام العربية في حالي إفراده وتركيبه وكانوا يعرفون النحو بأنه علم يبحث عن أحوال الكلام العربي إفرادا وتركيبا فكان مباحث الصرف جزءا من مباحث النحو ... ثم كان بعد ذلك قوي التمييز بين الموضوعات العلمية جريا مع سنن الترقي فأصبح هناك النحو الذي يعرف به موقع الكلمة من الإعراب والصرف الذي يعرف به أن الكلمة مأخوذة من مصدر كذا ومن ذلك الحين تميز علم الصرف عن علوم العربية بعامة وعن علم النحو بخاصة "[41]

أما بالنسبة للمصنفات لأدباء شبه القارة في الصرف والنحو جمة ضخمة لكون هذين العلمين أساسيان للمعرفة باللغة العربية ويقول دكتور أحمد إدريس:

"ومن مؤلفاتهم في الصرف ميزان الصرف لوجيه الدين عثمان بن الحسين والمنشعب في الصرف الكبير للشيخ حمزه البدايوني وأصول الكبرى لشيخ علي أكبر إله آبادي والصافية شرح الشافية للصديق حسن القنوجي ومن تصنيفاتهم في النحو شرح المصباح لسعد الدين الخير آبادي ووسيط النحو لتراب علي الخير آبادي وشمس النحو لشمس الدين الخير آبادي وهداية النحو لسراج الدين بن عثمان الأودي" [42]

ثانيا: علم البلاغة: يبين المراد بعلم البلاغة السيد أحمد الهاشمي قائلا:

---

[41]- د. عبد الرؤوف محمد عثمان ، المنهال في أبنية الأفعال دار أبي المجد للطباعة القاهرة مصر، الطبعة الأولى 1988م ، صـ 8

[42]- دكتورأحمد إدريس ، الأدب العربي في شبه القارة الهندية حتى أواخر القرن العشرين صـ 88-89

"لما وضع علم الصرف للنظر في أبنية الألفاظ ووضع علم النحو للنظر في إعراب ما تركب منـــها فوضع علم البلاغة للنظر في أمر هذا التركيب وهو ثلاثة علوم العلم الأول ما يحترز به عن الخطأ في تأدية المعنى ويسمى علم المعاني والثاني ما يحترز به عن التعقيد المعنوي يسمى علم البيان والثالث ما يراد به تحسين الكـــلام ويسمى علم البديع". (43)

ثالثا: علم المعاجم: يلخص لنا تعريف المعجم العربي وأهميته دكتور محمد عبد الحفيظ العريان قائلا:

"فقد أصبحنا اليوم نسمع في كل ساعة عن ابتكار جديد اكتشفه العلماء هنا وهناك ومن ثم كـــان لا بد للإنسان من شيء يرجع إليه إذا ما وقف أمامه لفظ لا يعرف كنهه أو جاش بخاطره معنى لا يعرف لـــه قالبا لغويا يعبر به عنه وهذا الشيء المقصود هو ما نسميه بالمعجم أو القاموس ومن ثم كانت الحاجة ماســـة إلى وجود هذا النوع من التأليف اللغوي". (44)

يقدم لنا دكتور أحمد إدريس بعض الأسماء من الكتب التي صنفها أدباء شبه القارة باللغة العربية في علم المعاجم قائلا:

"أول من صنف من أهل الهند في هذا الباب رضي الدين الحسين بن محمد الصغاني وله فيه مؤلفات عدة كأسماء الفأر وأسماء الأسد وأسماء الذئب والعباب الزاخر واللباب الفاخر ومن مؤلفات أدباء شبه القارة في هذا المجال أيضا تاج اللغات للمفتي إسماعيل بن وجيه الدين في ثلاثة مجلدات والقول المأنوس في صفات القاموس للمفتي سعد الدين بن نظام الدين المراد آبادي وتاج العروس شرح القاموس لمرتضى الزبيدي البلكرامي كتـــاب مشهور بين أمصار العرب". (45)

رابعا: الإنشاء والرسائل: يقول الأستاذ مولانا عبد الماجد الندوي مبينا أهمية هذا الفن

" إن الإنشاء موضوع هام لجميع اللغات الحية وتضاعفت أهميته في هذا العصر الـــديمقراطي ومـــا يحتوي عليه من الصحافة والمجالس والدعوى والتبليغ والارتباط بين البلاد المختلفة ارتباطـــا اجتماعيـــا وأدبيـــا ودينيا". (46)

43- السيد أحمد الهاشمي ، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، دار الكتب العلمية بيروت لبنان، الطبعة السادسة، بدون التاريخ، صـــ 3

44- د. محمد عبد الحفيظ العريان، المعاجم العربية المجنسة في ضوء علم اللغة الحديث دار الطباعة المحمدية القاهرة،الطبعة الثانية،1989م صـــ 4-5

45- دكتورأحمد إدريس الأدب العربي في شبه القارة الهندية حتى أواخر القرن العشرين صـــ 115-116

46- مولانا عبد الماجد الندوي، معلم الإنشاء باللغة الأردية ، مجلس نشريات إسلام كراتشي باكستان، بدون التاريخ، صـــ 15

وبيّن الأستاذ علي فكري أهمية الإنشاء والرسائل وهو يصف القلم ويريد به ما يسطر هذا القلم من الإنشاء فهو يقول :

"يحضر الغائب وإن طال بعده ويجدد الماضي وإن قدم عهده ويجمع بين الأصحاب والإخوان في الأفراح والأحزان" [47]

ويلقي الضوء على المصنفات باللغة العربية في هذا المجال دكتور أحمد إدريس قائلا:

"إن الشيخ باقر بن مرتضى جمع رسائله في كتاب سماه شمائم الشمائل في نظام الرسائل وحسن علي بن حاجي شاه اللكهنوي كتب رسائل عارض بها الحريري وبديع الزمان وللسيد ناصر حسين اللكهنوي كتاب الأثمار الشهية في الإنشاء ". [48]

خامسا: إقباليات: إن الشاعر الإسلامي الهندي والباكستاني العلامة محمد إقبال لا يحتاج إلى التعارف لأجل كونه معروفا في العالم بفكره الانقلابي وأشعاره المليئة بالروح الإسلامي لذلك إن مادة الإقباليات تدرس في معظم الجامعات الباكستانية باللغة الأردية إلا أن أقسام اللغة العربية في الجامعات المختلفة وبعض أكاديميات الحكومية والمنظمات الأهلية تهتم بنقل أشعاره من اللغة الفارسية والأردية إلى اللغة العربية كما أنها تقوم بتقديم ونشر فكره باللغة العربية في صورة الكتب والمجلات الخاصة بإقبال والرسائل العلمية أيضا وهذه الدراسات الإقبالية باللغة العربية سارية في الهند وباكستان أما من الكتب الرائعة في هذا المجال أولها روائع إقبال للشيخ أبي الحسن الندوي من الهند وإقبال العرب على دراسات إقبال للدكتور ظهور أحمد أظهر من باكستان ومن المجلات مجلة "إقباليات" التي تصدر تحت إشراف أكاديمية إقبال لاهور باكستان وجدير بالإشارة إلى أن مؤلف هذا البحث قام بتقديم رسالة الماجستير بقسم اللغة العربية لكلية الدراسات الإسلامية والعربية بجامعة الأزهر عن شخصية إقبال وفكره الإسلامي ورسالة الدكتوراه عن فكر إقبال الصوفي الإسلامي وذلك بالاعتماد على مترجمات شعره إلى اللغة العربية التي قام بها الأدباء والكتاب العرب وحصل على شهادة الماجستير سنة 1999م وشهادة الدكتوراه 2005م.

هذا قليل من كثير ما قدمنا من الإنتاج الفني والأدبي لأدباء شبه القارة باللغة العربية وبقي كثير من مجالات الدراسات الإسلامية والأدبية منها الخطب والمنتخبات الأدبية والمقدمات الأدبية وأدب القصة وأعمال المهارة اللغوية وشروح الكتب والتعليقات عليها وكتب تعليم اللغة العربية والمقدمات العلمية والنشرات العربية والكتب التي ألفت في مجال السيرة النبوية على صاحبها الصلاة والسلام والحديث النبوي الشريف والفقه وأصول الفقه والفلسفة والمنطق وتفسير القرآن الكريم والتصوف الإسلامي كثيرة.

---

[47]- السيد علي فكري، إنشاء المكاتبات الفكرية والمراسلات العربية ، مكتبة الإيمان القاهرة مصر، الطبعة الثالثة، 1966م صـ 5

[48]- دكتور أحمد إدريس ,الأدب العربي في شبه القارة الهندية حتى أواخر القرن العشرين صـ 147

وإذ أمعننا في هذه التفاصيل لا نواجه أية صعوبة في الوصول إلى هذه النتيجة أن حركة التأليف والتصنيف باللغة العربية كانت تتميز بالنشاط والتقدم والتطور الملحوظ في العصور المختلفة في شبه القارة الهندية إلى درجة أن بعض المؤلفات اشتهرت بين أمصار العرب شهرة واسعة لما لها من قيمة أدبية رائعة عند الكتاب وأدباء العرب كما أنه يتضح من هذا العرض أن أدباء شبه القارة الذين كتبوا باللغة العربية لم يتركوا مجالا من المجالات أو فنا من الفنون العلمية والأدبية والدراسات الإسلامية دون أن يساهموا فيها بأفكارهم وكتاباتهم ومؤلفاتهم القيمة كما أن هذا كله يشير إلى ارتباطهم باللغة العربية ارتباطا وثيقا واهتمامهم بها اهتماما بالغا كما أن هذا الاهتمام والارتباط باللغة العربية وأهلها يزيد بالاستمرار في جميع مجال حياتهم خاصة في العصر الحديث.

المبحث السابع : دور المؤسسات الرسمية في نشر اللغة العربية في شبه القارة

المطلب الأول: دور المؤسسات الرسمية الهندية في نشر اللغة العربية:

أولا: الجامعات: إن الجامعات الحكومية في الهند قامت بنشر اللغة العربية والدراسات الإسلامية بصفة عامة بين أبناء شبه القارة الهندية باختيار المنهج المدرسي والمراد منه المنهج الدراسي الذي تتبعه المدارس الدينية في الهند ونذكر بعض أسماء هذه الجامعات

" 1- جامعة كلكتة، 2- جامعة ممبي، 3- الجامعة الإسلامية عليكر[49] 4- الجامعة الملية الإسلامية، 5- الجامعة العثمانية ".[50]

ثانيا: الكليات والمدارس:

"1- الكلية العربية إنجلو في دلهي، 2- الكلية أيم.أيه.أو في أمر تسر، 3- الكلية الإسلامية في كلكتة، 4- الكلية المحمدية في مدراس، وإلى جانب ذلك هناك شبكة المدارس الحكومية باسم المداس الثانوية الإسلامية في المناطق الهندية التي تتبع هذا النظام في نشر الدراسات الإسلامية والعربية تحت إشراف الجامعات الحكومية."[51]

المطلب الثاني: دور المؤسسات الرسمية الباكستانية في نشر اللغة العربية:

49- Kuldip Kaur Madrasa education in India, Centre for research in rural industrial development Chandi Ghar India 1990 Page No. 124-126

50- د. شهناز أسجد, الأدب العربي في شبه القارة صـ 324

51- Kuldip Kaur Madras a education in India 1990 Page No.45-52 ,

عرفنا فيما سبق لنا من الكلام دور الجهات الرسمية في نشر اللغة العربية في الهند ويأتي الآن الدور لذكر بعض الجهود التي قامت بها المؤسسات الرسمية في باكستان:

أولا: الجامعات: إن الجامعات التي يأتي ذكرها في السطور التالية يوجد في معظمها قسم للغة العربية وهذا القسم يحتوي على المنهج الدراسي لمرحلة العالية والدراسات العليا (الماجستير والدكتوراه) وإليكم أسماء هذه الجامعات،

"1- الجامعة الإسلامية العالمية بإسلام آباد، 2- جامعة اللغات الحديثة القومية بإسلام آباد، 3- جامعة العلامة إقبال المفتوحة بإسلام آباد، 4- جامعة بيشاور ، 5- جامعة بنجاب لاهور، 6- الجامعة الإسلامية ببهاولبور، 7- جامعة كراتشي، 8- جامعة سند جام شورو، 9- جامعة بهاؤ الدين زكريا ملتان، 10- جامعة كومل ديره إسماعيل خان " [52]

ثانيا: الكليات والمدارس والمراكز الإسلامية:

أما بالنسبة مرحلة التعليم الثانوي والجامعي إن مادة اللغة العربية تدرس في جميع المدارس الثانوية والكليات الحكومية في باكستان كما أن الحكومة الباكستانية بدأت تنشئ المدارس الدينية النموذجية وهذه المدارس في بعض المناطق الباكستانية تؤدي دورا بارزا في نشر اللغة العربية كما أن المراكز الإسلامية تشارك في الجهود المبذولة في سبيل نشر اللغة العربية في باكستان ومن أهم هذه المراكز: 1- مركز شيخ زايد الإسلامي بجامعة بنجاب لاهور، 2- مركز شيخ زايد الإسلامي بجامعة كراتشي، 1- مركز شيخ زايد الإسلامي بجامعة بيشاور، 4- مجمع البحوث الإسلامية بإسلام آباد. [53]

هذا مجمل ما قدمنا من الجهود المكثفة التي تقوم بها مؤسسات باكستان التعليمية الرسمية في سبيل نشر اللغة العربية.

ثالثا: المجلات والجرائد والمؤتمرات:

أ. المجلات: "1-مجلة كلية الشرقية بجامعة بنجاب لاهور، 2-مجلة الدراسات الإسلامية بمجمع البحوث الإسلامية بإسلام آباد، 3-مجلة تحقيق لكلية العلوم الإسلامية والشرقية بجامعة بنجاب لاهور، 4-حولية الجامعة الإسلامية العالمية إسلام آباد ، 5-مجلة القسم العربي شعبة اللغة العربية بجامعة بنجاب لاهور، 6-مجلة إقباليات أكاديمية إقبال لاهور. هذه بعض أسماء المجلات العربية الباكستانية.

ب. الجرائد: 1-قضايا دولية معهد الدراسات الحكمة إسلام آباد، 2- كشمير المسلمة ص. ب 2292 إسلام آباد، 3-أخبار العرب ص. ب 1856 لاهور، 4- أهم الأخبار ايف ايت مركز إسلام آباد.

---

[52]- د. مظهر معين باكستان مين عربي زبان (اللغة العربية في باكستان) ، مركز شيخ زايد الإسلامي جامعة بنجاب لاهور باكستان، الطبعة الأولى 2003م صـ 98

[53]- المرجع السابق صـ 107

ج- المؤتمرات والندوات: 1- مؤتمر اللغة العربية العالمي كراتشي 17 مارس 1988م تحت إشراف جمعية نشر اللغة العربية كراتشي، 2- المؤتمر الدولي لتطوير اللغة العربية في باكستان 27-28-29 مارس 1998م تحت إشراف جامعة العلامة إقبال المفتوحة بإسلام آباد، 3- المؤتمر القومي للغة العربية 10-11-12 سبتمبر 2006م تحت إشراف قسم اللغة العربية بجامعة الكلية الحكومية فيصل آباد باكستان، 4- ندوة اللغة العربية القومية 31 مارس 1988م تحت إشراف شعبة اللغة العربية جامعة بنجاب لاهور، 5- ندوة اللغة العربية كلغة قومية 28 مارس 1988م تحت إشراف المنظمة , تنظيم الإسلامي ". [54]

المبحث الثامن : دور المؤسسات غير الرسمية في نشر اللغة العربية في شبه القارة

لاحظنا فيما مضى من الحديث دور المؤسسات الرسمية في نشر اللغة العربية في شبه القارة الهندية في العصر الحديث وندرس في هذا المبحث دور المؤسسات غير الرسمية في سبيل نشر لغة الإسلام والقرآن في الهند وباكستان.

أولا: الهند: إن المؤسسات غير الرسمية التي تقوم بنشر اللغة العربية عبارة عن المدارس الدينية في أنحاء الهند

المدارس الدينية:

- دار العلوم ديوبند: أنشأها الشيخ محمد قاسم النانوتوي رحمه الله في سنة 1866م وكان من أهدافها البارزة نشر اللغة العربية يقول دكتور أحمد عبد الحليم في هذا الصدد: "كانت لمدرسة ديوبند أهدافها ومن أبرزها المحافظة على التراث والثقافة الإسلامية ولغتها العربية". [55]

2- **دار العلوم ندوة العلماء:** أنشئت هذه المدرسة في 1893م ويقول دكتور أحمد عبد الحليم عن اهتمام علماء الندوة بنشر اللغة العربية قائلا: "نادى علماء الندوة بإحلال اللغة العربية وآدابها محلها اللائق في المناهج الدراسية والمقررات المدرسية لأن هذه اللغة حية راقية دافقة بالحياة والقوة مرنة تساير متطلبات العصر. [56]

3- **مدرسة معينية عثمانية أجمير:** " أنشئت هذه المدرسة في عام 1909م على يد العالم الجليل الشيخ معين

---

[54]- المصدر السابق صـ 108-121

[55]- حولية كلية الدراسات الإسلامية والعربية بنين القاهرة بجامعة الأزهر العدد الثاني والعشرون عام 2004م، صـ 252، أنظر أيضا مجلة علم وآكهي خصوصي شماره 1973-1974م بر صغير باك وهند كى علمي أدبي اور تعليمي ادارى صـ 69 (مجلة العلم والمعرفة باللغة الأردية العدد الخاص لسنة 1973-1974م عن المؤسسات العلمية والأدبية والتعليمية في شبه القارة الهندية الباكستانية صـ69)

[56]- حولية كلية الدراسات الإسلامية والعربية القاهرة صـ 270-271

الدين أجميري الذي كان عالما أخيرا من المدرسة الفكرية للعالم الجليل مولانا فضل الحق الخير آبادي الذي كان شاعرا عربيا كبيرا وأديبا عربيا فريدا، وتجلى هذا الأثر على تلميذه وسعى في نشر اللغة العربية ". [57]

4- مدرسة شمس العلوم بدايون: " تأسست هذه المدرسة على يد مولانا حكيم عبد القيوم أحد من أولاد مولانا فضل رسول بدايوني الذي كان معاصرا لمولانا فضل الحق الخير آبادي تخرج في هذه المدرسة كبار من العلماء الذين قاموا بنشر اللغة العربية في شبه القارة ". [58]

ثانيا: باكستان: كما عرفنا فيما سبق أن المؤسسات غير الرسمية عبارة عن المدارس الدينية وذكرنا بعض المدارس الدينية التي أنشئت في أواخر القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين الميلادي في الهند والآن يأتي دور ذكر المدارس الدينية التي أنشئت بعد استقلال باكستان عام 1947م في الأراضي الباكستانية وإن الصورة التي نرى عليها المدارس الدينية في العصر الحديث هي أنها تشتمل على أربعة وفاقات أساسية التي تمنح الشهادة الأخيرة تسمى "الشهادة العالمية في العلوم العربية والإسلامية" المعتمدة في الدوائر الحكومية وهذه الوفاقات كالآتي:

" 1- وفاق المدارس العربية (أهل السنة والجماعة حنفي ديوبندي) وعدد المدارس في هذا الوفاق يبلغ إلى 970 مدرسة،

2- تنظيم المدارس العربية (أهل السنة والجماعة حنفي بريلوي) وعدد المدارس في هذا الوفاق يبلغ إلى 400 مدرسة

3- وفاق المدارس السلفية (أهل السنة والجماعة أهل الحديث) وعدد المدارس في هذا الوفاق يبلغ إلى 100 مدرسة

4- وفاق المدارس الشيعة (شيعة اثنا عشرية) ويبلغ عدد المدارس إلى 40 مدرسة

5- رابطة المدارس الإسلامية (أهل السنة والجماعة مجموعة من أحناف وأهل الحديث) التابعة لحركة السيد مولانا أبي الأعلى المودودي.

وإلى جانب ذلك هناك توجد المدارس الكبيرة التي تستقل بمنح الشهادة العالمية في العلوم العربية والإسلامية مثل الجامعة الأشرفية لاهور ودار العلوم المحمدية الغوثية بمبيره سرجودها، وجامعة منهاج القرآن لاهور ". [59]

---

[57]- مجلة علم وأكهي خصوصي شماره 1974-1975م بر صغير باك وهند كى علمي أدبي اور تعليمي ادارى صـ 60 (مجلة العلم والمعرفة باللغة الأردية العدد الخاص لسنة 1974-1975م عن المؤسسات العلمية والأدبية والتعليمية في شبه القارة الهندية الباكستانية صـ60)

[58]- المصدر السابق صـ94-96)

[59]- د. مظهر معين , باكستان مين عربي زبان (اللغة العربية في باكستان) صـ 77-78

وكل واحدة من هذه المدارس يتخرج فيها مئات من الطلاب سنويا كما أن هذه المدارس تهتم بإرسال البعثات إلى جامعات البلاد العربية مثل الأزهر بالقاهرة مصر وسوريا والعراق لتعليم اللغة العربية ونشرها في باكستان بعد العودة من هذه البلاد العربية إن المدارس الدينية التي تأتي تحت الوفاقات المختلفة لا تدخر وسعا في سبيل نشر اللغة العربية حيث إن المناهج الدراسية لها تعطي الاهتمام الخاص والتركيز الدقيق على تعليم وتدريس اللغة العربية ونشرها نذكر أسماء بعض المدارس الدينية التي نالت الشهرة الواسعة ونكتفي بذكر مدرسة واحدة لكل طائفة من طوائف الأربعة من المدارس الفكرية وهي الديوبندية والبريلوية والسلفية والشيعية.

"1- الديوبندية: جامعة أشرفية لاهور مؤسسها المفتي محمد حسن رحمه الله وأنشئت هذه المدرسة عام 1947م .

2-البريلوية: دار العلوم المحمدية الغوثية بهيره سرجودها ومؤسسها الشيخ محمد كرم شاه الأزهري رحمه الله وأنشئت هذه المدرسة في عام 1953م .

3- السلفية: جامعة سلفية فيصل آباد وأسسها الشيخ محمد داؤود غزنوي رحمه الله سنة 1955م .

4- الشيعة (اثنا عشرية): جامعة المنتظر لاهور أسسها الشيخ محمد طفيل رحمه الله في سنة 1954م ". [60]

المبحث التاسع : المشكلات في نشر اللغة العربية في شبه القارة الهندية

من خلال بحثنا حول نشر اللغة العربية وأثرها على ثقافة المسلمين في شبه القارة عرفنا أن اللغة العربية وجدت نصيبا وافرا من الاهتمام حكومة وشعبا في كثير من المستويات الاجتماعية والتعليمية خاصة في باكستان وبفضل ذلك صرح عن رأيه دكتور أحمد إدريس باحث عربي مكث في باكستان إلى مدة خمس سنوات وطاف طول البلاد وعرضها فهو يقول:

"فإنك لو طفت أنحاء باكستان بأقاليمها المختلفة ولغاتها المتعددة وأنت عربي لا علاقة لك بلغات القوم، لا تجد أدنى صعوبة في التحدث معهم فكل ما يقف بك الركب تجد المتكلمين بالعربية والمتحمسين لها بل بعضهم يعشق الحديث معك باللغة العربية". [61] إلا أننا لا ننكر هذه الحقيقة أن هناك كثير من العيوب والقصور والعقبات والمشكلات في مجال تعليم اللغة العربية ونشرها وهذا يحتاج إلى العناية والتوجيه والتركيز في بحث الحلول للمشكلات والمعالجة لتلك العيوب والقصور التي تواجه شبه القارة الهندية الباكستانية في نشر اللغة العربية.

وإذا نظرنا ما قيل في موضوع المشكلات في نشر اللغة العربية وضعفها من الممكن أن نقسمه إلى قسمين , القسم الأول يشتمل على المشكلات التي مشتركة بين شبه القارة الهندية الباكستانية وعالم العرب أو

60- د. شهناز أسجد ، الأدب العربي في شبه القارةصـ 349-351

61- د. محمود عبد الله, اللغة العربية في باكستان، ، صـ 110

بتعبير آخر بين عالم العرب والعجم , والقسم الثاني يحتوى على تلك المشكلات التي تختص بشبه القارة الهندية الباكستانية أو بتعبير آخر مشتركة بين عالم العجم عامة بما فيها من دولة وغيرها.

أولا: المشكلات المشتركة بين عالم العرب والعجم بصفة عامة :

أ. القواعد النحوية : يقول دكتور شوقي ضيف الأديب المصري الكبير:

" جميع البلاد العربية تشكو مري الشكوى من أن الناشئة فيها لا تحسن النحو أو بعبارة أخرى لا تحسن النطق بالعربية نطقا سليما وكأنما أصيبت ألسنتها بشيء من الاعوجاج والانحراف جعلها لا تستطيع أداء العربية أداءً صحيحا ونخطئ خطأ كبيرا إذا ظننا أن شيئا من ذلك أصاب ألسنة الناشئة في بلداننا العربية جعلها تعجز عن النطق السديد بالعربية إنما مرجع هذا العجز أو القصور إلى القواعد النحوية التي تقدم إليها والتي ترهق الناشئة بكثرة أبوابها وتفريعاتها وأبنيتها وصيغها الافتراضية التي لا تجري في الاستعمال اللغوي". (62)

ويبدي دكتور محمد حسنين النقوي الباكستاني رأيه في مشكلة القواعد النحوية المشتركة بين العرب والعجم قائلا:

" تعد قواعد اللغة العربية من أكثر المجالات غموضا وصعوبة في مناهج تعليم اللغة بشكل عام وهذه الصعوبة لا تقتصر على متعلميها من غير العرب فقط بل تمتد أيضا إلى أبنائها وكثيرا ما ترتفع ا لشكوى صارخة من ضعف العرب في لغتهم". (63)

يتضح من هذين الاقتباسين أن القواعد النحوية بصورتها الموجودة مشكلة مشتركة تلك التي تواجهها الدول العربية وغير العربية في نشر اللغة العربية لغة صحيحة سليمة من الأخطاء.

ب. عدم تبسيط اللغة: هذا يعني أن اللغة العربية في بعض الأحيان لا تخلو من الألفاظ الغريبة والبعيدة عن الاستعمال الشائع والمأنوس والمألوف وهذه أيضا مشكلة مشتركة بين العرب والعجم إلا أن العجم أصابه الحظ الأوفر من هذه المشكلة.

ج. عدم تعميم الضبط: والمراد منه أن اللغة العربية الحديثة خالية من تشكيل الحروف بفتحة وضمة وكسرة وسكون إلا فيما خيف عليه التحريف كالنصوص الدينية هذه مشكلة ثالثة مشتركة بين العرب والعجم.

حلول هذه المشكلات:

62- د. شوقي ضيف ، تيسير النحو التعليمي قديما وحديثا مع نهج تجديده ، دار المعارف مصر، الطبعة الثانية 1993م ، صـ 3

63- بحث للدكتور محمد حسنين النقوي , مشكلات تعليم اللغة العربية، نشر في مجلة الدراسات الإسلامية الصادرة من مجمع البحوث الإسلامية بإسلام آباد في عددها الثاني ومجلدها الرابع والعشرين لشهر أبريل ويونيو سنة 1989م ، صـ 47

أ. تيسير القواعد النحوية: وفي هذا الباب يقول دكتور شوقي ضيف مؤكدا على ضرورة تيسير القواعد النحوية:

"إن أسلافنا ظلوا طوال القرون الغابرة يرون أن تيسير النحو للناشئة واجب حتمي وسيظل هذا الواجب قائما في الحاضر والمستقبل كما كان قائما في الماضي بل قد أصبح أكثر ضرورة وحاجة لناشئتنا لكثرة ما تتحمل في تعلم اللغة الأجنبية والعلوم الحديثة المختلفة ".[64]

ب. تبسيط اللغة العربية: وهذا يعني الاقتصار من الألفاظ الكتابية على المألوف والمأنوس والمستعمل دون غوص على المهجور من الكلام ولندع وحشي الكلام في بياننا والبيان الحق يدور حول استعمال اللفظ المعبرة الكاشفة في موضعها الملائم بأسلوب وضاح لا تعقيد فيه. [65] ويقول دكتور شوقي ضيف في حل هذه المشكلة:

" وإذا كان الجاحظ دعا إلى تبسيط العربية للناشئة في زمن من أزمنة ازدهارها فأولى لنا أن ندعو إلى هذا التبسيط للناشئة في زمننا التي بَعُدَ قرون طويلة عن أزمنة هذا الازدهار ". [66]

ج. تعميم الضبط: يشير الأستاذ محمود تيمور المصري اللغوي الكبير إلى أهمية الضبط وتشكيل الكلمات قائلا:

" ولما كانت مهمتنا تيسير اللغة وتسهيلها فإن من الواجب علينا أن نفكر في مسألة ضبط الألفاظ تفكيرا جديا عمليا لأن الألفاظ غير المضبوطة يختلف في نطقها القراء...فالضبط عامل ذو خطر في نشر اللغة وتعميمها" [67]

ثانيا: المشكلات الخاصة ببلاد العجم في نشر اللغة العربية

عرفنا فيما مضى من المشكلات المشتركة بين بلاد العرب والعجم في نشر اللغة العربية ونتعرف على المشكلات الخاصة في هذا المجال بشبه القارة الهندية الباكستانية أو بتعبير آخر الخاصة ببلاد العجم وهي كالآتي:- **أ.** مشكلة النطق الصحيح لحروف الهجاء العربية: حيث إن الطالب غير العربى يلاقي صعوبة في نطق صحيح في بعض الأصوات العربية منها ض ، ذ، ث، ع.

ب. قلة الاهتمام بالمحادثة باللغة العربية: وهذا يرجع إلى أن الأساتذة لم يتدربوا على المحادثة باللغة العربية لذلك الطلاب يواجهون هذه المشكلة.

64- د. شوقي ضيف ، تيسير النحو التعليمي صـ 4

65- الأستاذ محمود تيمور , مشكلات اللغة العربية عضو مجمع اللغة العربية القاهرة، المطبعة النموذجية القاهرة ، الطبعة الأولى 1956م، صـ15

66- د. شوقي ضيف ، تيسير النحو التعليمي صـ 4

67- الأستاذ محمود تيمور، مشكلات اللغة العربية صـ 20

ج. عدم الاعتراف بمكانة المتخصصين في مجال اللغة العربية: وهذه المشكلة أم المشاكل الأخرى حيث إن أستاذ العربية دائما يبقى محروما من مكانة اجتماعية مرضية ومقبولة عند عامة الناس مقارنة بأستاذ الإنجليزية أو الفيزياء وهذا يؤدي إلى عدم تشجيع الطلاب بالالتحاق بالأقسام العربية في الجامعات.

د. عدم اتخاذ القرار وأحيانا تنفيذ القرار حول جعل اللغة العربية مادة إجبارية إلى مرحلة البكالوريوس من الحكومات الإسلامية غير العربية: وبهذا السبب كثير من الطلاب ينصرفون إلى اختيار المواد الأخرى ويتركون اللغة العربية .

ر. عدم تواجد الأساتذة المتخصصين في تعليم اللغة العربية: وذلك لأنهم لم يتلقوا تشجيعا كافيا من الحكومة لتطوير دراستهم باللغة العربية وتهذيبها وإتقانها.

الحل الوحيد لجميع المشكلات :

ذكرنا بعض المشكلات التي تعاني منها شبه القارة الهندية الباكستانية في نشر اللغة العربية خاصة وبلاد العجم عامة والحل الوحيد لجميع هذه المشكلات هو اهتمام الحكومات الإسلامية وشعوبها في كل مكان باللغة العربية اهتماما بالغا والسعي إلى جعلها اللغة الرسمية للبلاد تدريجيا.

خاتمة البحث:

بعد هذه الرحلة السعيدة حول الموضوع "أثر اللغة العربية في ثقافة المسلمين في شبه القارة الهندية الباكستانية" وصلنا إلى بعض النتائج و ملخصها ما يلي:-

يبدأ تاريخ الأثر للغة العربية على ثقافة المسلمين في شبه القارة الهندية بوصول الإسلام في هذه المنطقة كما أنه كلما مرت الفترة الزمنية بعد وصول الإسلام في هذه المنطقة زاد أثر اللغة العربية في ثقافة المسلمين , إلى أن اللغة العربية أصبحت لغة الحياة العامة في منطقة السند (أحد الأقاليم الباكستانية حاليا) في القرن الثالث للهجرة , وكما أن اللغة العربية واجهت الصعوبة البالغة في نشرها في شبه القارة بسبب وجود اللغة الفارسية وجودا قويا بسب كونها لغة الفاتحين من الفارس , وحينما انتشر العلوم الإسلامية العقلية التي كانت باللغة العربية تركت أثرا واضحا في عقول المسلمين وثقافتهم في شبه القارة , وإلى جانب ذلك إن الأدب العربي شعرا ونثرا , نرى أثره العميق في ثقافة المسلمين , حيث إننا نجد الفنون الشعرية والنثرية العربية كانت موضع الاهتمام الخاص من أدباء العربية في شبه القارة الهندية الباكستانية , ولا يزال هذا الأثر يتجلى في كتاباتهم وبحوثهم , وكما أن الحجم الكبير وضخامة الإنتاج الفني الأدبي باللغة العربية في شتى مجالات الدراسات الإسلامية والعربية تدل على الأثر الجلي على ثقافة المسلمين في شبه القارة الهندية الباكستانية وكما أن دور المؤسسات الرسمية من الحكومة الهندية والباكستانية في نشر اللغة العربية يثلج صدرونا على الرغم كونه في نطاق ضيق هذا من ناحية ومن ناحية أخرى دور المؤسسات غير الرسمية في الهند وباكستان يعد دورا بارزا لا يقل أهمية من دور المؤسسات الرسمية في أية حالة من الأحوال , بل في معظم الأحيان هذه المؤسسات غير الرسمية تدفع الحكومات إلى اتخاذ الإجراءات اللازمة في نشر اللغة العربية , وهذا كله يبرز العلاقة المتينة

والارتباط الوثيق باللغة العربية لمسلمي شبه القارة الهندية الباكستانية والأثر الواضح علـــى ثقافتـــهم , و مـــن الملاحظ أنه على الرغم من الجهود المكثفة التي بذلت ولا تزال تبذل في سبيل نشر اللغة العربية في شبه القـــارة الهندية الباكستانية إلا أننا لا نستطيع أن ننكر هذه الحقيقة المسلمة أن بعـــض القصـــور والعيـــوب والموانـــع والمشكلات ما زال يواجهها الأدباء وكتاب العربية في شبه القارة الهندية الباكستانية. ندعو الله تعالى أن يوفقنا جميعا في حل هذه المشكلات لكي يعم نور اللغة العربية فى البلاد الإسلامية العربية و غير العربية كافة . وبـــالله التوفيق والسداد.